



A study of the theme of difference in the novel "Without" by Younes Al Akhzami, according to the thematic approach of Jean-Pierre Richard

Maroua Hendi^{1*}, Inchirah Saadi²

1. PhD student, Abu Al-Qasim Saadallah University - Algiers2
marwa.hindi@univ-alger2.dz
2. Professor at Abu Al-Qasim Saadallah University - Algiers2
inchirah.saad@univ-alger2.dz

Abstract

This study aims to shed light on the dominant themes in the novel "Bidoun, without" by the Omani novelist Younis Al-Akhzami, in order to uncover the main subject that serves as the fundamental cornerstone and the primary nucleus from which the narrative text emerges. This is achieved by employing the tools of the thematic methodology, following the approach of Jean-Pierre Richard. This approach enables us to identify the dominant themes through their repeated appearances in the narrative world as continuous variations, representing partial themes of the larger, overarching themes. These are interconnected through hidden links and relational networks that connect them to one another on one hand, and to the overarching theme on the other. This allows the researcher to delve deeply into the text and reveal the logical, relational, and dialectical connections that bind the major themes together, ultimately leading to the primary theme of the novel. The process is conducted within a precise and cohesive system where the elements interlink and align under the laws of similarity, coherence, and interrelation, giving the text a unique and distinct structure. This study employs a thematic approach to explore the issue of gender identity disorder and its psychological and existential repercussions on the affected individual in the novel "Bidoun, without." The text's themes are diverse and varied, revealed through thematic analysis based on Jean-Pierre Richard's mechanisms. The study aims to identify the major themes of the text, uncover the primary theme, and determine the core from which the novel emerges. Accordingly, the research is divided into several sections: the manifestations of the theme of "alienation" at the level of the title and the alienation of the self in the novel "Bidoun, without," the appearances of the theme of "suffering" within the title and its formations in the narrative space, and the overarching theme of "difference".

Keywords: Contemporary Omani novel, theme, thematic approach, difference, semantic affinity, the novel "Bidoun", Younis Al-Akhzami.

دراسة وتحليل معنى لام الجر في الترجمات المعاصرة للقرآن الكريم (الجزء الأول)

مروة هندي^{١*}، انشراح سعدي^٢

١. طالبة دكتوراه في جامعة الجزائر ٢ أبو القسم سعد الله

marwa.hindi@univ-alger2.dz

٢. أستاذة في جامعة الجزائر ٢ أبو القسم سعد الله

inchirah.saad@univ-alger2.dz

الملخص:

تروم هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التيمات المهيمنة في رواية "بدون" للروائي العماني يونس الأخرمي، للوصول إلى الموضوع الرئيس، الذي يعدّ اللبنة الأساسية والنواة الأولى المنبثق منها النص الروائي، بالاعتماد على آليات المنهج الموضوعاتي وفق مقارنة جان بيير ريشار، إذ تمكننا هذه الأخيرة من اكتشاف التيمات المهيمنة في ظهوراتها المتكررة في عالم النص الروائي في شكل تعديلات مستمرة تمثل تيمات جزئية للتييمات الكبرى، ترتبط فيما بينها بروابط خفية وشبكات علائقية تتصل ببعضها البعض من جهة، وتتصل بالتيمة الكبرى من جهة أخرى تسمح للباحث بالسير العميق في أغوار النص والكشف عن العلاقات المنطقية والشبكية والجدلية التي تربط بين التيمات الكبرى، ثم الوصول إلى التيمة الرئيسة للنص الروائي وفق نظام دقيق ومتجانس تترايط عناصره وتنظم ضمن قوانين التشاكل والتجانس والترايط، يعطي للنص نظامًا متفردًا ذي خصوصية. جاءت هذه الدراسة وفقاً للمنهج الموضوعاتي لإظهار موضوع اضطراب الهوية الجندرية، ومخلفاته النفسية والوجودية على الفرد المصاب في رواية "بدون"، فاختلفت تيمات النص وتنوعت ككشف عنها التحليل الموضوعاتي وفق آليات جان بيير ريشار. وتهدف إلى اكتشاف تيمات النص الكبرى والوصول إلى تيمة النص الرئيسية ونواة انبثاق النص الروائي. وبناء على ذلك انقسم البحث إلى عدة محاور؛ تجليات تيمة "الاغتراب" على مستوى العنونة واغتراب الذات في رواية بدون، ثم ظهورات تيمة "المعاناة" على مستوى العنوان وتشكالاتها في الفضاء السردية، والتيمة الكبرى "الاختلاف".

الكلمات المفتاحية: الرواية العمانية المعاصرة، التيمة، المنهج الموضوعاتي، الاختلاف، القرابة المعنوية، رواية "بدون"، يونس الأخرمي.

المقدمة:

يُعدّ موضوع اضطراب الهوية الجندرية من المواضيع الحساسة والنادرة في المجتمع العربي، ويشكّل أزمة نفسية ووجودية للشخص المصاب جراء حالة الإضطراب واللاراحة التي يشعر بها، كما أنّه من المسائل المسكوت عنها في الوطن العربي، ومما يُؤزم حالة المصاب هو عدم الاعتراف الطبي بهذه الحالة؛ إذ يفسر بعض الأطباء حالة اضطراب الهوية الجندرية على أنّها شذوذ جنسي ويتهم المريض بالكفر. طرح الروائيون العرب هذا الموضوع على درجة مختلفة من الجرأة فاقترحوا موضوعاً من المواضيع المحظورة في المجتمع العربي في ظل الطبيعة الثقافية المغلقة، وقد اختلف الطرح باختلاف مرجعية الحالة المرضية فمنهم من صور حالة اضطراب الهوية الجندرية بسبب التربية أو البيئة التي نشأ فيها المصاب، ومنهم من صور حالة المرض في خلل يولد به الإنسان. أما يونس الأخرمي فقد طرح قضية اضطراب الهوية الجندرية ومخلفاتها النفسية والجسدية في رواية بدون في حالة أنثى ولدت بأعضاء ذكورية في البطن، في سرد متناسل صور فيه رحلة التحول والعلاج بطريقة فنية جمالية لا تخلو من الجرأة والمفاجأة، كما عاين حالة الاغتراب الذاتي الذي تعيشه الشخصية الروائية خاصة وأنها تعرضت إلى النبذ والإقصاء في أكثر الفضاءات انفتاحاً وثقافةً في مجتمعها (الجامعة)، على عكس المكان الذي استقبلها (لندن) وتمكنت فيه من البدء في العلاج وعملية التحول.

قامت رواية "بدون" على تصوير إنسان مشتمت هوياتياً سواء من حيث الجنس أو البلد الذي ينتمي إليه وقد تجلّى ذلك بدءاً من عتبة العنوان التي تحيل إلى دلالات كثيرة ومتنوعة، وللقبض على هذه الدلالات لجأنا إلى تطبيق آليات المنهج الموضوعاتي بهدف استجلاء علاقة العنوان بالنص الذي يحيل إليه من خلال تجلّي تيمات النص الكبرى على العتبة الأولى، والكشف عن علاقة التيمات المهيمنة بغية الوصول إلى الجذر التوليدي الذي وُلد منه نص بدون وتشكل. وعلى هذا الأساس قسمنا البحث إلى عدة محاور كتجليات تيمة "الاغتراب"

على مستوى العنونة واغتراب الذات في رواية بدون، ثم ظهورات تيمة "المعاناة" على مستوى العنوان وتشكلاتها في الفضاء السردي، والتيمة الكبرى "الاختلاف".

أسئلة البحث:

تتلخص أسئلة البحث في :

- كيف صور الكاتب موضوع اضطراب الهوية الجندرية في نصه الروائي؟
- ما هي الآثار النفسية والجسدية التي تنجر عن حالة اضطراب الهوية الجندرية على الشخص المصاب؟
- إلى أي مدى تمكن يونس الأحزمي من تصوير أزمة المصاب باضطراب الهوية الجندرية؟
- كيف ينظر المجتمع العربي لحالة اضطراب الهوية الجندرية؟

خلفية البحث:

تجدد الإشارة إلى أن كتاب السعيد عبدلي الموسوم "المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي، أسسه وإجراءاته" الصادر سنة ٢٠٢٠ م عن دار التنوير قد أفرد جزءاً تطرق فيه إلى المفاهيم التي يقوم عليها النقد الموضوعاتي وإجراءاته التطبيقية وفق مقارنة جان بيير ريشار، كما وضع يوسف وغليسي كتاباً وسمه "التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري بحث في ثوابت المنهج، وتحولاته العربية، ومحاولات لتطبيقه". الصادر عن دار جسر للنشر والتوزيع سنة ٢٠١٧ م خصص القسم الثالث منه للتحليل الشعري وفق المنهج الموضوعاتي مستندا على المفاهيم التي استقاها من قراءته لجان بول فيبير حسب ما صرح به في مقدمة الكتاب.

أما في مجال القصة والرواية فالدراسات الموضوعاتية قليلة مقارنة بالشعر ويعود ذلك إلى أن أشهر النماذج التي حللها رواد المنهج الموضوعاتي هي نماذج شعرية، مع ذلك وجدنا بعض الدراسات التي طبقت آليات المنهج الموضوعاتي على القصة والرواية، حيث نجد كتاب مسعود ناهلية الموسوم "الموضوعاتية في القصة العربية القصيرة قراءة سوسيو- نفسية في المنجز القصصي عند نجيب محفوظ" تخلص فيه الكاتب عن التنظير ولجأ إلى تطبيق آليات المنهج

على نماذج من قصص نجيب محفوظ، غير أن الدراسة تفتقر كثيراً إلى المصطلحات التي تشير إلى المنهج الموضوعاتي أو إلى آلياته التطبيقية، كما نجد دراسة في نفس المجال لانشراح سعدي وهو مقال موسوم "التيّمات المهيمنة على القصة العمانيّة القصيرة محمد عيد ومحمود الرّحبيّ ومحمد الزّرافي نموذجاً" نُشر في مجلة الآداب والعلوم الإنسانيّة سنة ٢٠٢٠ اعتمدت فيه على المقاربة الريشارية في تتبع التّيّمات المهيمنة في النماذج المختارة، وقد وجدنا الآليات الموضوعاتيّة التي وضعها جان بيير ريشار ضمن التحليل تمكّنت من خلالها الباحثة من الكشف عن التّيّمات المهيمنة في نماذج مختلفة من القصة القصيرة العمانيّة.

كما وجدنا مقال للباحثة أميرة بن قديدح تحت عنوان "الاختلاف والتمرد في رواية "المدركون الأوائل المسيح الخامس" لمحمود موسى . مقاربة ريشارية ". المنشور في مجلة البحوث والدراسات العلمية سنة ٢٠٢٤ وهي دراسة مشاهجة لدراستنا عُنيّت فيها الباحثة بتتبع تيمتي الاختلاف والتمرد والتفريعات الموضوعاتيّة لهما بالاعتماد على المنهج الموضوعاتي وفق آليات جان بيير ريشار، لكن دراستنا تختلف عن الدراسة المذكورة نظراً لاختلاف الموضوع وخصوصيته، فموضوع اضطراب الهوية الجندرية موضوع به من الخصوصية ما يكشف عن رغبة الكاتب في لفت النظر إلى هذه القضية والنظر إليها بمنظور مختلف.

المنهج الموضوعاتي:

ظهر المنهج الموضوعاتي في فرنسا، ضمن ما يسمى بالنقد الجديد مواكباً تيار ما بعد الحداثة، في ستينات القرن الماضي، يعني باكتشاف المعاني الخفية للعمل الأدبي وذلك بتتبع التيمّات الكبرى وتفريعاتها في فضاء العمل الأدبي، مولياً لمضمونه الأهمية الكبرى عبر البحث والتعمق في أغواره لتحديد البنّيات المهيمنة والمتكررة في النص الأدبي، وقد جاء كرد فعل على المنهج البنيوي الذي يهتم بالشكل مهماً مضمونه.

ولد المنهج الموضوعاتي وتطور على يد عدد من الفلاسفة والنقاد الذين أغنوا المنهج بمصطلحات وآليات إجرائية تمكن الباحث من تطبيق هذا المنهج على العمل الأدبي شعراً كان

أم نثرًا، ومن أهم النقاد الذين انشغلوا بالمنهج: غاستون باشلار، ومارسيل ريمون، وجون ستاروبسكي، وجورج بولي، وجون بول فيبر، وجان بيير ريشار وغيرهم من أعلام، ولأننا اعتمدنا على المقاربة الموضوعاتية وفق آليات جان بيير ريشار في تحليل مدونة "بدون" ليونس الأخرمي فإننا سنركز على الإجراءات المقترحة منه لتطبيق آليات المنهج الموضوعاتي.

نلمس تطورًا واضحًا في التعريفات الاصطلاحية التي وضعها ريشار لمصطلح الموضوعاتية، حيث يفصل بين التعريف الاصطلاحي الأول لهذا المصطلح والتعريف الاصطلاحي الثالث ما يقارب الربع قرن من الزمن. يقر ريشار في تعريفه الثالث على أنه يفضل: «استعمال كلمة جذر؛ لأنها اللمعة أو الخلية الرحمية الأولى للموضوع، من حيث أن التفريعات الموضوعاتية تنبثق من الجذر بطريقة توالدية، أو وفقا لنسق تصادمي، تجاوزي..» (ريشار، ١٩٨٥: ١٨٩) ويقصد هنا باللمعة أو الخلية الرحمية النواة التي ينبثق منها النص الأدبي بمجرد احتكاكه بالعالم المحسوس، ثم انتشارها في شكل تفريعات مستمرة عبر مبدأ التمثيل الذي يسمح بظهور تيمة النص الكبرى في شكل تيمات فرعية تتصل في ما بينها عبر القرابة السرية في نظام دقيق وخفي يشكل معمارية العمل الأدبي.

إجراءات المنهج الموضوعاتي:

وضع الناقد ريشار أربع أدوات إجرائية تمكن الباحث من اقتحام أعماق النص والكشف عن النظام الدقيق له، لتحديد موضوعاتية النص الكبرى، وهي:

١- الحلولية:

إنّ هذا الإجراء يمنح السلطة الكاملة للباحث، حيث يضع الكاتب والظروف الخارجية التي ساهمت في إنتاج النص بين قوسين، ويجعل الباحث في مواجهة مع النص وحده، ليتمكن من الحلول فيه والتماهي معه، يقول ريشار في هذا الصدد: «أين يوجد الكاتب حقًا، وفي أوفر حقيقته إذا لم يوجد في المجموع الكلي الملموس لكتبه؟ ففيه يتذوق ويبدع، وفيه يتوجب البحث

عنه بادئ ذي بدء» (علوش، لا تا: ١٢٩) فالحلولية شرط أساسي لقيام الدراسة الموضوعاتية يقف في مقابل مصطلح الإحالة. وهو يسعى إلى اعتبار النص كائناً مستقلاً بذاته.

٢. حرية المدخل:

يسمح المنهج الموضوعاتي للناقد بولوج النص من النقطة التي يراها مناسبة، فهو « حر في اختيار الموقع الذي يراه مناسباً للدخول إلى النص والتقدم نحو أعماقه لاستكشاف أسرار بنائه» (عبدلي، ٢٠٢٢: ٩٥) حيث يقع اختيار نقطة انطلاق التحليل على عاتق الباحث، حسب ما يراه مناسباً.

٣. القراءة المصغرة:

القراءة المصغرة هي إجراء اهتدى إليه ريشار عندما اكتشف أهميته الكبرى في الكشف عن التفاصيل الصغيرة في العمل الأدبي، وتظهر أهميتها في وضع كتاب بعنوان "قراءات مصغرة" أعلن فيه الكاتب عن دور القراءة المصغرة في اكتشاف الأجزاء المصغرة التي تدخل في تكوين موضوعاتية النص الأدبي، وتقنية ريشار هي تقنية صارمة متأنية، يمكن اعتبارها قراءة ذاتية؛ لأنها تتمثل في بناء هندسة سرية عليها أن تكون ذات غاية واحدة إلزامية: هي التناغم و الائتلاف بين أجزائها. (رالو، ٢٠١٠: ٣١)

٤. التكرار

أخذ ريشار فكرة التكرار من العالم الفرنسي بيير كبرو، يعادلها عدد من المصطلحات كالعد والتواتر والترداد، تقوم على اعتبار الوحدات النصية التي يتم تواترها ذات أهمية كبيرة ودور فعال لتحديد موضوعاتية النص وتتبع انتشارها في شكل تنويعات مستمرة (عبدلي، ٢٠٢٠: ١٠٦)، فالموضوعاتية الكبرى « التي تمثل المعمارية اللامرئية أو الهندسة الخفية في الأثر والتي يجب أن تكون قادرة على إرشادنا إلى مفتاح انتظامه إنما هي المواضيع التي حضيت في الأغلب الأعم بقدر كبير من التفصيل وهي تظهر بتوتر بين استثنائي؛» (رالو، ٢٠١٠: ٢٩) أي أن موضوعاتية النص الأدبي هي التي تكرر ظهورها في شكل تعديلات مستمرة بفضل مبدأ

التمفصل، ترتبط ببعضها البعض وتتصل بالموضوعاتية الكبرى وفق مبدأ القرابة السرية مشكّلة نظاماً متسقاً ذي خصوصية.

ملخص رواية بدون للروائي العماني يونس الأخرمي:

تدور أحداث رواية "بدون" للروائي العماني يونس الأخرمي الصادرة سنة ٢٠١٩ عن دار العرب حول موضوع اضطراب الهوية الجندرية، مثلتها شخصية علا عبد الرحمان علوان التي ولدت بأعضاء تناسلية ذكورية في البطن، سببت لها اضطرابات ومعاناة نفسية واجتماعية جسيمة، أدت إلى البحث عن علاج لهذا الاضطراب الذي اضطرها إلى الخضوع لأكثر من اثني عشر عملية جراحية مليئة بالألم والمعاناة في سبيل إخراج الأعضاء التناسلية الذكورية، والتحول من علا عبد الرحمان علوان إلى علي عبد الرحمان علوان. وقد فصل الكاتب في تفاصيل العلاج ومجريات عملية التحول. وجعل من القارئ شاهداً على رحلة المعاناة التي تكبّدها الشخصية الروائية في عملية التحول.

يُعدّ موضوع الرواية موضوعاً جريئاً نادر التطرق في الرواية العربية، تناوله الكتاب العرب بمنظور متعدد الزوايا، حيث تناولت الكاتبة مسعودة بكر في رواية طرشقانة موضوع الاضطراب الجنسي مثلته شخصية بدر الذي يعيش أزمة اضطراب سلوكي ونفسي جراء انغماسه في مجتمع النساء (الصمايرية، ٢٠٢٤: ١٩٥-٢١٣).

أما في الرواية العمانية فقد سبقت الكاتبة بدرية البدري الكاتب يونس الأخرمي تناول الموضوع في نصها "ظل هيرمافروديتس"، لكن بدرجة أقل من الجرأة، وأكثر فنية من "بدون" حيث لم تقحم القارئ في تفاصيل العلاج ومجريات عملية التحول، كما لم تخض في تفاصيل المرض بالقدر الذي فصل فيه يونس الأخرمي الذي أبي إلا أن يجعل من القارئ شاهداً على رحلة المعاناة التي تكبدها الشخصية الروائية في عملية التحول. وتجدر الإشارة إلى أن بدرية البدري ركزت على سيكولوجية الفرد المقهور، وتمفصلات التحول وآثاره على نفسية البطلة.

وإن كانت الرحلة نفسها إلا أن طريقة التناول جاءت مختلفة تماماً، وإن تقاطع الموضوعان في نقطة جوهرية هي التحول.

موضوعاتية النص في رواية "بدون":

بالعودة إلى نص " بدون " نجد أنّ التيمات الصغرى تدافعت في تكوكب دلالي يعتمد على مبدأي التمثيل والاستمرار للوصول إلى تحديد موضوعات النص الكبرى، ف « مبدأ الدراسة الموضوعاتية هو مبدأ الاستمرارية، مبدأ التمثيل المستمر... فالمعنى يتفكك في اتجاه آخر» (عبدلي، ٢٠٢٠: ٧٧) هذا التفكك يسمح بالظهورات المتعددة لتيمة النص الكبرى في شكل تفرعات موضوعاتية.

برزت من خلال القراءة الموضوعاتية للنص تيمتان مهمتان هما الاغتراب والمعاناة المتكررتين والمنتشرتين في نسيج السرد الروائي من جهة، وارتباطهما بعنوان النص من جهة أخرى. ولذلك سنشرع في دراسة التيمة بدءاً من العتبة الأولى للنص، وهي العنوان.

تجليات تيمة "الاغتراب على مستوى العنوان:

يمثل العنوان بنية مستقلة ومحتزلة، تحمل شحنة دلالية مكثفة تشير إلى مضمون النص وتكشف عن مقاصد الكاتب، وهو علامة سيميائية مشفرة يمكن فكها بالعودة إلى النص الذي يعينه، حيث يعدّ العنوان « المرجع الذي يتضمن بداخله العلاقة والرمز وتكثيف المعنى، إذ يحاول المؤلف أن يثبت فيه مقصده برمته بوصفه النواة المتحركة التي خاط عليها نسج نصه» (العبيدي، ٢٠٠٩: ٥٩.٧٩) يعني بالضرورة العودة إلى المتخيل السردى وتتبع تكرارات لفظة العنوان في النص الروائي لاستكناه مدلولاتها والكشف عن علاقته بالنص من خلال تجليات تيمات النص على مستوى عتبة العنوان. وبذلك الوصول إلى مقاصد الكاتب.

وبالعودة إلى نص " بدون " نجد أنّ العنوان ورد على شكل شبه جملة اتصلت فيها كلمة دون بحرف الجرّ الباء دلالة على الكسر والتحقيق إضافة إلى الإقصاء والدونية.

شكلت تيمة الاغتراب بنية مهمة في بناء السرد وتشكيله، وكشفت عن البعد النفسي للشخصية الرئيسية للنص الروائي، ربطت العنوان بمتمته ارتباط الرأس بالجسد، إذ وردت لفظة بدون في المقبوس التالي: «ولدت بالخير ولم يكن هو بلدي، وأنا الآن بصنعاء، وليس هو بلدي، وسأرحل منها إلى لندن ولا أدري إن كان سيصبح بلدي، أم سأبقى أبحث عن ذلك البلد أما الآن في هذه اللحظة من عمري فأنا مازلت بدون وطن» (الأخزمي، ٢٠١٩: ٩٤) تشي السلاسل الجملية بمعالم الاغتراب التي أثتته اللغة من خلال حشد دلالات الضياع والتيه والبحث المضني عن الوطن، مضمراً وراءه بحثاً أعمق على مستوى الذات وسؤال عن الهوية باعتبار الوطن والذات والهوية ثلاثية مترابطة، فالوطن انتماء للذات نفسياً واجتماعياً وثقافياً ولغوياً، كما أنه يشكل أحد مكونات الهوية ورمز لها، وإن البحث عن الوطن هو بالضرورة بحث عن الذات والهوية. وقد جاء الخطاب على لسان الساردة كاشفاً عن محنة الضياع ومجهولية المصير بسبب معاناتها من اضطراب الهوية الجندرية.

وردت لفظة "بدون" في موضع ثان من النص في المقبوس التالي: «تمت بدون معرفة المسؤولين بالكلية..» (الأخزمي، ٢٠١٩: ١٤١) متعلقة بتيمة الاغتراب وإن بدت دلالاته بعيدة غير أنّ التحليل الموضوعاتي يظهر ارتباط المقبوس بتيمة الاغتراب عن طريق القرابة المعنوية التي أقرها جان بيير ريشار كإجراء موضوعاتي، فالسرد يظهر سعي المسؤولين بالكلية من أجل تغيير النتائج لحرمان البطلة علا من حصولها على رتبة معيدة، لأنها أنثى أولاً و من أبناء المغتربين ثانياً، وهو تصرف يؤدي إلى شرخ وانفصال بين الإنسان ومجتمعه، مما ينتج أحاسيس ومشاعر سلبية تصل حد الاغتراب، الذي عرفه فينجر بأنه: «معتقدات ساحرة تجاه سياق اجتماعي معين، حيث يقوم الانفصال على عدم التوافق بين الخصائص الشخصية للفرد والدور الاجتماعي الذي يؤديه» (حماد، ٢٠٢١: ١٧) مما يعمق الهوية بين الفرد ومجتمعه، وبالتالي اغتراب الإنسان عن مجتمعه.

اغتراب الذات في رواية بدون:

تتحلى تيمة الاغتراب في نص "بدون" في الشخصية الرئيسية علا / علي التي تعيش غربة الجسد نتيجة ضياع الهوية الجندرية، حيث تتماهى تيمة الاغتراب في البناء الروائي بانتشارها عبر النسيج السردى بأسلوب زاخر بدلالات نفسية عميقة تنم عن وضع البطلة المأزوم وتضعه في مواجهة مباشرة مع الواقع، فالمقبوس التالي: « فما أعيش فيه من ضياع يسبب لي العذاب والعزلة، أصبت بالصمت أمام الآخرين وتعودت الحديث مع نفسي لدرجة أخواتي نعتني بالجنون، بيد أنني في حقيقة الأمر لا أملك يدا فيما أمر به من تشوش » (الأخرمي، ٢٠١٩: ٢٥) يشخص الحالة الشعورية للشخصية الروائية داخل المعطى التصي، ويكشف عن الوضع النفسي الذي أزمته اللّغة، حيث يمارس الاغتراب حضوره من خلال احساس الضياع والعذاب والعزلة، وقد تفاقم شعور الاغتراب ليلغ مداه في « انفصال الإنسان عن مجتمعه وانقطاع التواصل بينه وبين الآخرين، وحتى بينه وبين ذاته، والهروب من الواقع إلى عالم الوهم » (حماد، ٢٠٢١: ١٧) بسبب عدم توافقه مع تركيبة المجتمع ومع متطلبات ذاته حتى ينعت بالجنون.

أبرزت القراءة المجهرية كإجراء موضوعاتي الوقوف على عدة مشاهد سردية تصبّ في دلالات الاغتراب وتحيل إلى معانيه، فالمقبوس السردى التالي: « ولدت بالخبر ولم يكن هو بلدي، وأنا الآن في صنعاء وليس هو بلدي، وسأرحل منها إلى لندن ولا أدري إن كان سيصبح بلدي أم أنني سأبقى أبحث عن ذلك البلد. أما الآن في هذه اللحظة من عمري فأنا مازلت بدون وطن » (الأخرمي، ٢٠١٩: ٤٩) يكشف وعي الشخصية علا بوضعها المأزوم وعدم توافقتها مع مقومات المجتمع العربي وتركيبته، وينم عن إشكالية وعي الإنسان بالمكان الذي يدل على وعي الذات بوجودها وإمكاناتها وحقوقها وهي مشكلة وجودية (خليل، ٢٠١٦: ٣٤)، وقد بدا وعي الشخصية الروائية بوضعها في استعمال لفظة وطن بدل لفظة بلد في «مازلت بدون وطن» فالوطن ليس هو الأرض التي يولد فيها الانسان ولا هو الأرض المتوارثة أبا عن جد، بل هو المكان الذي يشعرها بالأمان والانتماء ويتوافق مع حالتها

الخاصة (الجسدية والنفسية) في مقابل المكان الذي رفضها (السعودية واليمن) بفعل ثقافته وعاداته، إذ إن المكان « يحمل في ظاهراته الاجتماعية استلابات كثيرة واندحارات كبيرة، وإن مواجهتها المستمرة مع العوامل المهدة هي التي صنعت الكثير من أنماط ثقافته وأنماط هويته، وطبائع جماعته المتعددة في أفكارها وثقافتها،» (خليل، ٢٠١٦: ١٣٨) يقوم بالأساس على وعي جمعي يرفض الدخيل واللامألوف، ولا يعترف بالاختلاف باعتباره من العوامل المهدة لاستقرار المجتمع واحتلاله. وهو ما يؤدي في المقابل إلى شعور الإنسان مضطرب الهوية الجندرية بالاغتراب النفسي والاجتماعي إضافة إلى الاغتراب الجسدي، وهو ما أثبتته السرد إذ ظل السعي لإيجاد هوية والسؤال الدائم عن الذات هاجس الشخصية الروائية على طول الرواية.

تتزامن مشاهد النص السردية المحملة بمعاني الضياع والتهيه، لتعزز معالم الاغتراب الذاتي الذي يعيشه بطل حيث جاء الملفوظ السردية التالي على لسان السارد / الساردة: «عشت طفولتي الأولى وأنا أشعر فيها بالغرابة، قلقة حينها من طبيعة أحاسيسي ونزواتي الغريبة التي لا توجد لها شبه لدى أقراني من البنات، بقيت أتساءل عمن أكون حقاً، ولماذا أنا مختلفة، فضاعت طفولتي وأنا أبحث عن إجابة، شبابي هو الآخر ضاع بحثاً عن علاج، وبعد قليل سينتهي عقدي مع الرجل المكتمل الرجولة، وسأعود كما كنت بعد العملية الأولى رجل في الظاهر فقط» (الأخزمي، ٢٠١٩: ٢٥٠) يلخص حياة البطلة / البطل التي تراوحت بين الاغتراب والضياع ممزوجاً بالحيرة والقلق والشعور بنزوات لا تتوافق والتركيبة البيولوجية للشخصية الروائية، مما أدى إلى وقوعها في شرك البحث المستمر عن الذات والقلق حيال الوجود.

وقد بانّت تيمة الاغتراب كتيمة مهيمنة في فضاءات سردية عديدة، تحمل تيمات جزئية مترابطة بعلاقات خفية تشكل معمارية النص الروائي وترتبط بروابط سرية وفق مبدأ القرابة المعنوية لتكشف عن نظام متسق ذي خصوصية ومتجانس يشكل المعنى الأساسي ويبرز نواة السرد الخام.

ظهورات تيمة "المعاناة" على مستوى عتبة العنوان:

تظهر تيمة المعاناة على مستوى العنوان عبر الخيط الرفيع الذي يربط النص بعنوانه وذلك عن طريق عملية التأويل التي يقوم بها الباحث وفق آليات القراءة الموضوعاتية، بالتعويل على مبدأ القرابة المعنوية، فتظهر دلالات المعاناة على لفظة بدون في الحرمان الذي تعرضت له الشخصية الروائية وما انجر عليه من ألم وقلق وجودي ووحدة شكلت معالم معاناة البطلة / البطل التي جسدها السرد، وهو ما يتوافق مع الدلالات المعنوية لللفظة بدون التي تحيل إلى الدونية والحرمان، ليصبح العنوان مرآة للنص الروائي، وبنية نصية مكثفة ومختزلة تحمل دلالات المتخيل السردية وتساهم في الكشف عن مقصدية الكاتب ورؤيته الخاصة للذات وللعالم.

وقد أبدع يونس الأخرمي في إصباغ صورتي الاغتراب والمعاناة على عنوان نصه بدون، إذ جاء العنوان خالياً من النقاط ليجرد الكلمة من صفة اليقين ويضعها موضع الشك والريبة، فمثل العنوان الشخصية الروائية أحسن تمثيل حيث ولدت البطلة أنثى بأعضاء تناسلية ذكورية تضعها في المنتصف فلا هي أنثى ولا هي ذكر، مما شكّل لها اغتراباً ذاتياً واجتماعياً ومعاناةً مأساويةً جراء ضياع الهوية الجندرية.

تشكلات تيمة "المعاناة" في الفضاء السردية:

أفصح السرد عن تيمة المعاناة كتيمة مهيمنة جسدها اللغة في مستوى الخطاب السردية لتمثل معاناة الشخصية الروائية علا / علي التي بدأت منذ سنوات المراهقة واستمرت معها إلى سنوات طوال تحاكي الوضع النفسي المأزوم وتلج مواطن الوجدع بسبب اضطراب الهوية الجندرية لبطلة النص الروائي.

مكنت القراءة المجهرية للنص الروائي من الوقوف على عدة ملفوظات سردية تشخص الحالة الشعورية لنفسية البطلة، وتبوح بالعواطف السلبية العاكسة للتييمات الجزئية التي تحيل إلى التيمة المهيمنة المعاناة، حيث تنصهر في السرد في شكل تفرعات موضوعاتية، إذ تبين المتتالية الوصفية تيمة القلق كتيمة جزئية لتيمة المعاناة: «ومع تأخر نزول دم الحيض عندي مقارنة بمن هن في مثل سني، زاد قلقها عن الأول: أنت لم يبق لديك الكثير من الوقت قبل أن يطرق

باب بيتنا أحد العرسان ذات يوم ومعه أبوه وأمه ويطلبك للزواج» (الأخزمي، ٢٠١٩: ١٩) حيث يوحي هذا المقبوس بوقوع الأم فريسة للقلق والحيرة حيال وضع ابنتها التي قاربت سنّ الزواج ولم تررها الدورة الشهرية، كدليل على اكتمال أنوثتها واستوائها امرأة صالحة للزواج والإنجاب، «وكان قلقها ذاك قد بدأ عندها منذ أن تجاوزت الثانية عشر وبقي صدري مسطحاً لم ينبت عليه شيء» (السابق: ١٩) يقابل قلق الأم قلقاً موازياً من البنت التي ترى نفسها ناقصة مقارنة بأقرانها من البنات، بسبب تأخر ظهور علامات الأنوثة على جسدها، بالمقابل ظهور علامات الذكورة «أقعد لوحدي قدام المرأة، أتلمس وجهي، أتحمس الشعيرات الصغيرة التي بدأت في النمو فوق شفتي وأسفل فكي» (السابق: ٢١) بسبب ارتفاع هرمونات الذكورة حسب تشخيص طبيب الغدد.

استمرت تيمة المعاناة بالتناسل في تضاعيف السرد الروائي بفضل آلية التمثيل المستمر، فلا تكاد هذه التيمة تختفي حتى تظهر في مشاهد سردية أخرى، «إذ لا يفقد الخيط الواحد للفكرة، وإذا اختفى فلكي يعود للظهور متوحداً بخيط آخر فيما بعد» (لحمداني، ١٩٩٠: ١٣٠) يوحي بدلالات الألم والمعاناة وهو ما أكدته المؤشرات النصية التالية:

«ازدادت الآلام قسوة على بطني، صرت أشعر بها سكاكين تقطع أعماقي، ولم تعد المسكنات تجدي نفعاً» (الأخزمي، ٢٠١٩: ١٤٠) «ظل يعاني آلاماً عديدة ومتنوعة الحدة، أسوأها على الإطلاق الآلام المصاحبة لتغير مسار البول» (السابق: ٢٢٣) «كان يتألم بشدة خصوصاً حين ينتهي مفعول مسكن الألم، يتلون وجهه، يزرق ويغمق تعصره الجروح النازفة في الأسفل» (السابق: ٢٢٥)

وردت المتتالية السردية على لسان الشخصية البطلة، بينما جاءت المتتاليتان السرديتان الأخيرتان على لسان الشخصية الروائية أميرة لتسرد حجم معاناة زوجها علي جراء العمليات الجراحية التي خضع لها في سبيل إخراج الجهاز التناسلي الذكوري من البطن، ومدى الألم المصاحب لهذه العمليات، وللإشارة فإن رواية بدون تعددت بمستويات التعبير الداخلي والخارجي وتبئير الصفر، وانفردت كل شخصية من شخصيات الرواية بفصل استلمت زمام الحكاية فيه،

فسردت أحداث تتعلق بحياة الشخصية البطلة مما أضاع جوانب معتمة منها ومكّن المتلقي من الإحاطة بكل المراحل الحياتية لها.

يتنامى السرد المكثف في نص بدون ليشكل ملامح أزمة البطل، ويكشف عن وجه آخر من أوجه المعاناة، حيث لجأ يونس الأخرمي إلى إصباغ ألفاظه بفيض من الدلالة والشحن العاطفي ليرسم الصورة المأساوية لبطل نصه، ظهرت في المقبوس التالي: « لم يكتف العذاب بكل ذلك، بل حملني أمراضا صاحبتي منذ سنين، وستظل مصاحبة لي إلى الأبد، ولأجلها أتجرع الألم كل حين وآخر» (السابق: ٢٥١) هذا الشعور بالألم والعذاب يشعل حرباً موازيةً على المستوى النفسي الداخلي للذات، ويولد مشاعر الحزن والأسى ويؤدي إلى اليأس والقنوط.

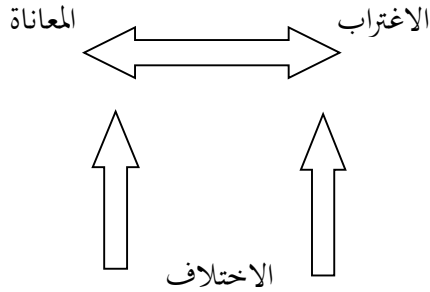
لقد سخر الكاتب لغته السردية وحشدها بالدلالات التي تصب في فلك المعاناة، كما نظهما تنظيمًا واعياً تحاكي هول الوضع الصحي والنفسي لبطله، وهذا ما بيّنه تدافع السرد «بين أعوام ١٩٩٧ و ٢٠٠٧* عشرون عاما أمضيت معظمها بين الشعور بالألم وبين التوجس بهجومه المباغت لي، خضعت لكل تلك العمليات المرهقة والمؤلمة، على جسمي نقشت عشرات العلامات، هنا مكان لحم مبتور وهنا علامات جراحية طويلة وعرضية... وهأنذا من جديد مريض، أنتظر المزيد من التقطيع والترقيع، أقعد من نومتي على السرير ببطء وخدر» (السابق: ٢٥١) وقد انتقى الأخرمي ألفاظه بعناية ليصف الحالة الصحية لبطله وكسر من خلالها أفق توقع القارئ من جهة، وكسب تعاطفه من جهة أخرى، حيث يبدو في البداية أنّ بطل النص الروائي سيتخلص من معاناته بمجرد تحوله من أنثى إلى ذكر ليفاجئ بتضخم المعاناة وبلوغ الألم مداها، وبدل أن يتلقى سخط القارئ واستيائه من إقدام الشخصية الروائية على فعل التحول الجنسي واتهامه بتهتك أسس الدين والمجتمع حصل على تعاطفه وذلك بالتفنن في وصف رحلة المعاناة الجسدية والنفسية والاعتراب الذاتي والاجتماعي الذي تعرضت له الشخصية الروائية، وقد يعود أمر براعته في الوصف والسرد إلى كون الرواية مستقاة من الواقع تستند على الحقيقة في جانب منها.

أخذت تيمة المعاناة في التطور والنمو في ثنايا السرد الروائي في تمفصلات مستمرة لا تلبث أن تظهر في نمو حركة السرد مشكلة تراكمات تشكّل بنية إشعاعية لهذه التيمة من تعاضد تيمات جزئية مترابطة بعضها ببعض بروابط خفية استقصاها التحليل الموضوعاتي بغية الكشف عن الموضوع الرئيس للنص الروائي.

التيمة الكبرى "الاختلاف":

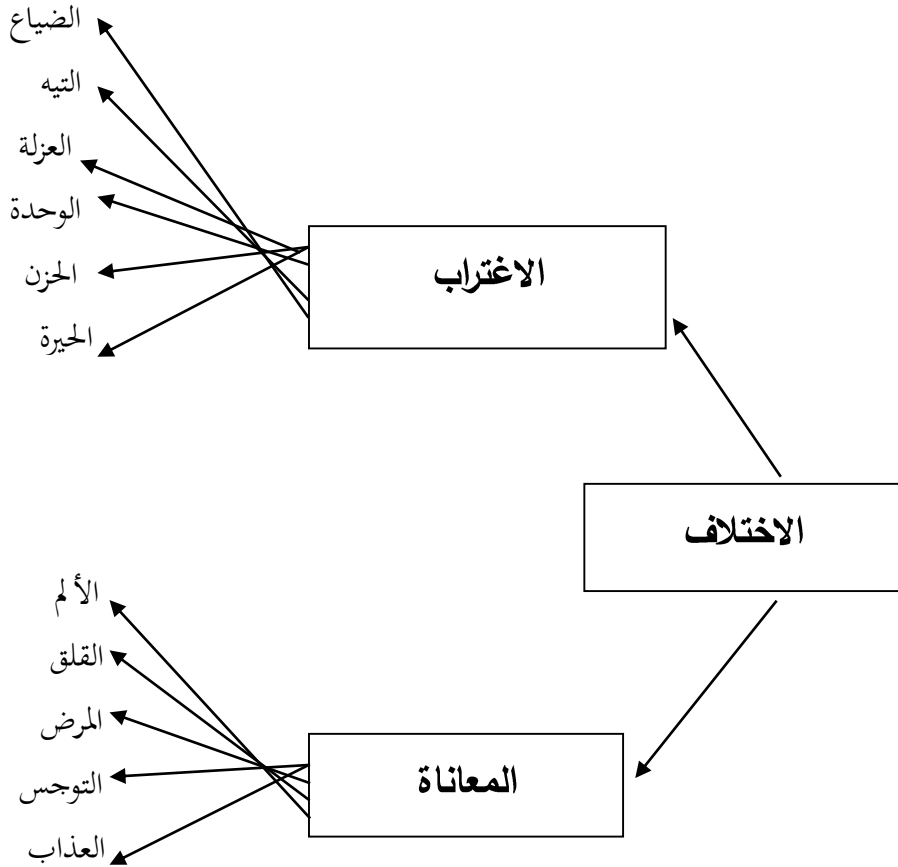
تهدف القراءة الموضوعاتية إلى البحث عن البنى الخفية وتعرية المعنى، للوصول إلى الموضوعات الكبرى التي تشكل جوهر العمل الإبداعي عبر قوانين التشاكل والتجانس والترادف والقرباية المعنوية في شبكة من العلاقات تبين المعمارية الخفية المؤسسة للفضاء السردية، وإن السبر العميق في السرد الروائي لنص بدون أفصح عن أن تيمتي الاغتراب والمعاناة هما فرعان أساسيان لتيمة النص الكبرى وهي تيمة "الاختلاف"، حيث تعالقت تيمة الاغتراب بتيمة المعاناة بعلاقات سببية، إذ تصبح المعاناة عاملاً من عوامل الاغتراب، «فمن المعروف أنه عندما يصيب اليأس والإحباط الكائن الإنساني، فإنّ الروابط الإنسانية والأخلاقية بينه وبين مجتمعه تتلاشى تدريجياً بحيث ينفصل عن هذا المجتمع ويعيش وضع المغترب عنه» (يونس، ٢٠٢٤: ٤٠)، كما يعد الاغتراب نوع من أنواع المعاناة يؤدي إلى التمزق الذاتي ويسبب الأزمات النفسية.

وإن الثنائية (الاغتراب والمعاناة) تعود بالأساس إلى مقولة الاختلاف، في مجتمع يفرض حرق النمطي والسائد ويتجاوز إطار الفردية ويمجد كل ماهو جمعي و مشترك حفاظاً على لحمته وكيانه، إذ يصبح الاغتراب والمعاناة نتائج حتمية للاختلاف، وفق المخطط التالي:



المخطاطة رقم ١: حتمية الاختلاف

كما يصبح الاختلاف في مستوى أعمق من التحليل هو الموضوع الرئيسي ونواة انبثاق نص "بدون"، وهو الجذر الذي تتفرع منه التيمات الجزئية وتتوالد في شبكة لا متناهية من التعديلات الموضوعاتية، فكل ظهور يعدّ لباس للمعنى وكل ظهور للمعنى يعدّ صدى لظهور آخر للمعنى ذاته واكتساب العنصر المدروس هويته إنما يتم من خلال انتمائه إلى النسق الذي يتشكل فيه وهو يكتسب القدرة على التكوّك حول العناصر الأخرى التي تنتمي إلى نفس النسق (عزام، ١٩٩٨: ٢٢)، مشكلة الشجرة الموضوعاتية بحسب تعبير يوسف وغليسي. وفق الخطاطة التالية:



الخطاطة رقم ٢: التشجير الموضوعاتي لتيمة الاختلاف.

يقدم يونس الأحمري رؤيته الخاصة عن فكرة الاختلاف من خلال موضوع جريء جدا، هو موضوع اضطراب الهوية الجندرية، وما ينجر عنه من مواقف وترتبات خارجية بدت في نظرة المجتمع إلى الشخص المصاب بالاضطراب، تكفلت بإبرازه الشخصيات السردية في النص الروائي، وصراعات داخلية برزت في الهواجس والاضطرابات النفسية لهذا الشخص، فيصبح الخطاب الروائي في نص بدون خطابا ايديولوجيا يهدف بالدرجة الأولى إلى دحض الصورة النمطية للشخص المختلف، والنظر إليه من زوايا متعددة.

النتائج:

. يندرج النقد الموضوعاتي ضمن ما يسمى بالنقد الجديد، يهتم باكتشاف تيمات النص الكبرى، من أجل الوصول إلى تيمة النص الأساسية التي تمثل نواة انبثاق النص وجذره التوليدي. . تمثل تيمتا الاغتراب والمعاناة تيمتين مهممتين، انتشرت في فضاء النص الروائي في شكل تعديلات مستمرة من خلال ظهوراتهما المتكررة في ثنايا السرد بفضل آلية التفرع المستمر، حيث تمثل هذه التعديلات تيمات جزئية تتصل ببعضها البعض وتعود إلى التيمة الكبرى وفق مبدأ القرابة السرية.

. يرتبط العنوان "بدون" بالنص الذي يحيل إليه عبر تجليات تيمتي الاغتراب والمعاناة على لفظتي العنوان، إذ يرتبط الأخير بالنص من خلال الدلالات المعنوية التي تصب في معاني الاغتراب والمعاناة.

. تعتبر تيمتا الاغتراب والمعاناة تيمتي ممهديتين لتيمة الاختلاف، التي تعدّ تيمة النص الرئيسية كشف عنها التحليل الموضوعاتي وفق مقارنة جان بيير ريشار من خلال ارتباط تيمتي الاغتراب والمعاناة بعلاقات سببية تعود بالأساس إلى مقولة الاختلاف.

المصادر

- . الأحمزي، يونس (٢٠١٩م). بدون، لبنان: دار العرب، ط ١.
- . حبيلة، الشريف، (٢٠٢٣). قراءة في الخطاب الروائي العربي من افهم إلى التأويل، الجزائر: دار خيال للنشر والتوزيع، ط ١.
- . حامد، أيمن، (٢٠٢١). الاغتراب في الرواية العربية المعاصرة (١٩٥٢ . ٢٠٠٠)، الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي، ط ١.
- . خليل، سمير، (٢٠١٦). تقويل النص: تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية، الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط ١.
- . الرّو، إليزابيت رافو، (٢٠١٠). مناهج النقد الأدبي، تر: الصادق قسومة، تونس: دار سيناترا، ط ١.
- . ريشار، جان بيير، (١٩٨٥). النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، لبنان: دار الجليل.
- . عبدلي، محمد السعيد، (٢٠٢٠). المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي، أسسه وإجراءاته، الجزائر: دار التنوير، ط ١.
- . عزام، محمد، (١٩٩٨). البنيات الجذرية في أدب عقلية عرسان، سوريا: اتحاد الكتاب العرب، ط ١.
- . علوش، سعيد، (د ت). النقد الموضوعاتي، العراق: مطبعة بابل، ط ١.
- . لحداني، حميد، (١٩٩٠). سحر الموضوع، عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، منشورات دار سال، ط ١.
- . يونس، محمد عبد الرحمان، (٢٠٢٤). موسوعة النقد الروائي المعاصر، مصر: المكتب العربي للمعارف، ط ١.

المجلات:

- . الصمايرية، أسماء، (٢٠٢٤). «سيميائية التحول الجندري في الرواية التونسية بين البحث عن الهوية وتخريبها: قراءة في رواية طرشقانة لمسعودة بكر»، مجلة نقد وتنوير، العدد ١٩، ص ١٩٥-٢١٣.
- . العبيري، علي محمد، (٢٠٠٩). «العنوان في قصص وجدان الحشاش: دراسة وصفية»، مجلة دراسات موصالية، العدد ٢٣، ص ٥٩-٧٩.